

الخطبة رقم ١٩

التعاون ووحدة المسلمين في الحج

الخطبة الأولى والخطبة الثانية التابعة لها

من كتاب خطب الحمد والثناء

الحمد لله العليم القاهر المطلع على الضمائر والسرائر ، أحاط بكل شيء علماً وقهر كل مخلوق عزة وحكماً ، أحمدته تعالى فهو أهل الحمد والثناء وأشكره على آلائه ونعمه التي لا تعد ولا تحصى .. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له .. شهادة عالم مستيقن بلفظها ومعناها .. وأشهد أن محمداً عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه إلى يوم الدين.

أما بعد .. أيها الناس: يسعى الكثير من الناس بدعوة التقارب وعقد المؤتمرات وتبادل الشورى بين الأفراد والجماعات كأمر ضروري للعمران البشري وعامل من عوامل تقدمه ورقيه ، ولقد أحرز هذا العصر في عالم المدنية والصناعة والسرعة ما لو حدثنا عنه التاريخ لأمم قبلنا لخلناه ضرباً من الخيال وحكاية للمحال، وذلك بفضل التقارب وتبادل الخبرات والمنافع بين الناس. فالفرد كائن حي مرتبط بأفراد هي الأسرة الإنسانية، والأسرة قوام حياتها التعاون بين أفرادها وتبادل المصالح والمنافع، وبهذا يبقى الجنس البشري إلى حيث شاء الله أن يبقى. وهذا اللقاء يأتي بحكم الضرورة وبوحي من المتطلبات اللازمة، وحيث أن ما نشاهده اليوم من لقاءات على مستوى الأفراد والجماعات رسمية كانت أو شعبية محورها المادة ورابطتها المصلحة وقوامها الأخذ

والعطاء ، ونتاجها الكسب المادي وثمرتها الرفاهية والنعيم، واعتبار الحياة غاية ، هذا ما عليه الوضع البشري الراهن ، وتلك فلسفته ومراميه وأطراف غايته ومنتهى أمانيه من اللقاءات والاجتماعات ، وللأسئلة أن يسأل فما نهج الإسلام وروح تشريعه ومعتقداته وهل غير الحياة السائدة ومسايرة الركب الحضاري يكفل للمرء حياته الطيبة ويتم التضامن وفق المصلحة وبروح التعاون .

أيها المسلمون : إن الذي أوجد الإنسان وأودع فيه الفطر وألهمه بما يحتاجه في حياته المعيشية البهيمية ، شأنه شأن الحيوانات العجماوية الأخرى ، ذلك هو رب التشريع وموحي التنزيل العالم بمصلحة الإنسان قبل أن يعرف الإنسان نفسه .

وبالاستقراء وتتبع الآثار نجد أن ما يمليه الإسلام في العقيدة والشريعة أو في نهج الحياة العامة الرتيبة هو ما يتفق مع الفطر السليمة والطباع المستقيمة ، بل قد دعى إلى ذلك في شكل تجمعي ملموس وأذن لنا بذكره في بيوت يرتادها المسلمون خمس مرات في اليوم واللييلة (في بيوت أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه يسبح له فيها بالغدو والآصال رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله وأقام الصلاة وإيتاء الزكاة يخافون يوماً تتقلب فيه القلوب

والأبصار ليجزي الله كل نفس ما كسبت إن الله سريع الحساب). وهذا اللقاء من أبرز شعائر الإسلام ، بل الصلاة عمود الإسلام التي هي سلك النظام من ارتباط المسلمين في المساجد المعمورة. وفي الوقت الذي كان البشر يعانون مرارة النعرات والاعتزاز بالعصبية وتباين الطبقات قال الإسلام "من تعزى بعزاء الجاهلية بأعطوه على هني أبيه ولا تكنوا .

وقال ليس منا من دعا إلى عصبية ، وقال دعوها فإنها منتنة ، وفي الشكل الذي يؤدي فيه المسلمون مناسك تعبداتهم ما يوحى بالوحدة والتتأم الصف والاعتصام بحبل الله جميعاً . ومن أوضح الصور وأجلى المعاني للتجمعات المشروعة على نطاق يلتقي فيه مختلف الأجناس وتذوب فيه القبلية وتتحد فيه المظاهر والمخابر هو الحج لبيت الله العتيق ، شرع الحج يوم كانت وسائل النقل والمواصلات الخف والحافر بل الأقدام ، كذلك فقد حج الخليل عليه السلام على قدميه من الشام .

كما حج رسول الله صلى الله عليه وسلم من المدينة على الركاب.

قال تعالى: (وأذن في الناس بالحج يأتوك رجالاً وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق ليشهدوا منافع لهم ويذكروا اسم الله على ما رزقهم من بهيمة الأنعام) .

عباد الله : إن من أهداف التجمع الإسلامي وحدة العقيدة ، فلا مهاودة مع الكفر البتة ولا التقاء معه إلا في ساحة الحرب أو الرضى بإعطاء الجزية عن يد وهم صاغرون ، ونيل الأهداف فلا مطامع ولا مطاعم بل الإخلاص لله والتجرد له ، وليس في الإسلام ما يوحى بالأنانية وحب الذات بل النصيحة ، ومحبة الغير وحسن العشرة والإيثار ، وكل تجمع إسلامي فإنما هو تغذية للروح المؤمنة ودعوة للقيم الفاضلة والمعاني الصالحة . هذا هو الفارق بين تلك التجمعات اللا إسلامية ، والتجمعات المشروعة في الإسلام ، فأى الفريقين أحق بالأمن إن كانوا يعلمون .

ربنا ألهمنا رشدنا وقنا شر أنفسنا .. اللهم اجعل اجتماعنا هذا اجتماعاً مرحوماً وتفرقنا تفرقاً معصوماً .

اللهم لا تجعل فينا ولا منا شقياً ولا محروماً يا رب العالمين .
أعوذ بالله من الشيطان الرجيم .

(يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالاً كثيراً ونساء واتقوا الله الذي تساءلون به والأرحام إن الله كان عليكم رقيباً) .